سلسلة ورقة بحث (١٣)

صدمة الفكر
في البحث عن اللامحسـوس

ميثاق طالب كاظم الظالمي

صدمة الفكر

في

البحث عن اللامحسوس

ميثاق طالب كاظم الظالمي

(٢)......................صدمة الفكر في البحث عن اللامحسوس

كيف أقبض على اللامحسوس ؟

لو فكرت بشكل أولي كيف يتسنى لي أن أقبض بفكري على اللامحسوس لأتعقله ؟ وأصنع منه منطقاً خاصاً به لا يتوقف على الحس كمصدر ابتدائي للمعرفة؟

لكن ما هو اللامحسوس ؟ لأبدأ أولاً بمحاولة تقليدية لتعريفه ، وهي أني آخذ مثالاً على اللامحسوس وأتصور كيف لي أن أقبضه؟ أي أن اتمكن منه كتمكني من المحسوس وأسيطر عليه كسيطرتي على المحسوس أيضا.

وسأبدأ بأخذ مثال على اللامحسوس ، لكن كي آخذ المثال يجب أن آخذ بنظر الاعتبار مشكلة المثال التي تم عرضها سابقاً وفحواها أن المثال كما يعطي معرفة توضيحية فإن تلك المعرفة تكون على حساب الدقة العلمية المأخوذة فيه[1]، لذا فإن أي مثال سآخذه عن اللامحسوس سيكون غير دقيق من الناحية العلمية البحثية وإن كان يفي بالغرض من الناحية البيانية العرضية.

أما المشكلة الأخرى فهي خاصة بما نحن بصدده وهو إيجاد مثال لأمر غير محسوس حتى أتمكن من دراسته، والمثال الذي يجب أن آخذه هنا هو لا محسوس مطلقاً كي اتمكن من دراسته، وإلا إذا لم

[1] الورقة البحثية (١٠) المثال الممنوع

يكن كذلك فإنه سيخرج بطريقة ذاتية عن موضوع بحث هذه الورقة، لكن ما أواجهه ها هنا أن المثال الذي يُفترض أن آخذه والذي هو مثال غير معتمد على حسي أبداً كما ذكرنا، فكيف استطيع أن أصنع مثالاً لأمر غير محسوس من دون الاعتماد على حسي ؟

أعتقد هنا أننا سنتوقف ونحن في بداية البحث عن إيجاد نقطة انطلاق في فهم وإيجاد تصور عن المحسوس بمثال .

ولأحاول أن أسير بطريق آخر واتخذ مساراً جديداً للبحث بعد أن عجزت عن دراسة اللامحسوس من خلال دراسة مثال حسي، ولأحاول هنا أن اتحرك بما قمت به من بحث حول رأي العلم بهذا الشيء الذي اسمه اللامحسوس وإدراك الفكر له ، ووجدت أن العلم يتعامل مع هذا النوع من المعرفة الفكرية على انها إدراك فوق حسي وعرّفوه بأنه مجموعة من التأثيرات التي تقع في الواقع الخارجي وتصل إلى الفكر البشري وتتوسل بوسائط مجهولة للفكر ، وهم يقولون أنها تقع في منطقة غير معروفة في الدماغ إلا أنهم يفسرون معرفة العقل البشري بها عن طريق ترجمة الدماغ لتلك التأثيرات بشكل احساسات خاصة وقد تم الاهتمام به بشكل واضح في الاوساط العلمية ، وقد أُجرِيت تجارب جادة على هذا النوع من الموجودات الادراكية منذ أكثر من ثمانين سنة وكان محور هذه

الدراسات هو إيجاد تعريفات علمية لهذه الظواهر والبحث عن منهج يخضعها للبحث العلمي التقليدي .

ومن الظواهر التي وقعت في حيز دراساتهم ظاهرة توارد الخواطر التي هي انتقال أفكار وصور عقلية بين شخصين من دون الاستعانة بأي وسيلة حسية ومن دون إدخال الحواس الخمس في ذلك، والإدراك الاسترجاعي الذي هو القدرة على معرفة أحداث وقعت في الماضي من دون الاستعانة بأي من الحواس او أي وسيلة تقليدية في اكتساب المعرفة، وكذلك الإدراك المسبق الذي هو القدرة على توقع احداث مستقبلية قبل وقوعها ، والاستشعار وهو القدرة التي يتمتع بها بعض الموهوبين على اكتساب معلومات عن حادثة بعيدة أو جسم بعيد من غير تدخل أي حاسة من الحواس في اكتساب تلك المعلومات، ومما لا شك فيه فإن وجود مثل هذه القدرات الخارقة مما يقع ضمن دائرة اهتمام الناس واهتمام الباحثين ، ومقدار هذا الاهتمام اختلف بحسب الغايات والمقاصد التي يرومها اولئك الناس ، ومنها إن هذه الدراسات تساعد على فهم النفس البشرية والطاقات الكامنة فيها ، ومنها استعمالها في السيطرة وأعمال التجسس وغيرها مما لا مجال لذكرها هنا .

والفيزياء الحديثة بما امتلكته من نظريات في مجالات ميكانيكيا الكم وبعض نتائج النظرية النسبية كانت مادة خصبة الاستعمال عند الباحث في هذه الدراسات بسبب تقارب النتائج من منطقة اللامعقول وتجافيها عن المدركات الحسية كقضية إدخال البعد الرابع الذي تضمنته الفيزياء الحديثة في النظرية النسبية لفهم وتفسير الإدراك المسبق والإدراك الاسترجاعي والإدراك الحسي الفائق .

وقد لخصت لحد الآن رأي العلم بهذا النوع من الإدراكات التي تخرج عن تأثير الوسائط والأدوات الحسية ، ولكن اثناء مراجعتي إجمالاً لهذا النوع من الدراسات وجدت أنها تدرس اللامحسوس عن طريق دراسة آثاره ، فهذه الدراسات تكتشف الظاهرة الطبيعية أو قل أن هنالك ظاهرة طبيعية مكتشفة مُسبقا وموجودة أصلاً عند بعض الأفراد والموهوبين ، ثم انهم يضعون تلك الظاهرة تحت دائرة البحث العلمي كمحاولة لمعرفة كنهها والغور في تفاصيلها وبالتالي الاستفادة الجادة من نتائجها لكن ما لاحظته انهم يدرسون الآثار المترتبة على تلك الظاهرة وبالتالي ـ وبحسب تفكيري ـ فإن إطلاق لفظة الظاهرة على تلك الحالات غير دقيق لأنها ليست ظاهرة بل الظاهر هو آثارها ، ودراسة الآثار بما هي آثار مختلف عن دراسة نفس الحالة اللاحسية ، فحين ندرس توارد الخواطر فإن ما ندرسه هو أثر ونتيجة نهائية لحالة ما ورائية ولا

يُدرس اللامحسوس مباشرة بل ما يُدرس هو آثار اللامحسوس ، واللامحسوس بهذا التفكير الذي سرنا به سيكون غير معروف ايضاً ، وكذلك الظواهر التي ذكروها كالاسترجاع المُسبق والاسترجاع المعكوس وغيرها هي كلها آثار لتلك الحالات اللاحسية ، فكيف يمكن أن أدرس اللامحسوس من خلال آثاره الحسية ؟ فما سوف يقع في حيز الدراسة البحثية هو الحس لا الحالة اللاحسية ، فكيف سندرس اللامحسوس ؟

وربما أفكر بطريقة أخرى هنا ، انه لا مشكلة من دراسة الأثر الحسي كي يكون طريقاً لمعرفة اللامحسوس نفسه فإن الأثر يدل على المؤثر كما قيل في بعض الاستدلالات الفكرية.

وما أراه أن الأثر لا يدل على المؤثر إلا بأصل وجوده الاحتمالي ولا يعكس صورة أخرى له ـ هذا بحسب تفكيري ـ أما دلالة الأثر على المؤثر فإن اقصى حدودها هو وجود المؤثر بدلالة الأثر ،ولا يمكن أن يكون الأثر عاكساً لصورة المؤثر بشكل كلي، وأقصى ما يعطيه الأثر هو الانعكاس الجزئي لا الكلي.

أما أني كيف عرفت أن الانعكاس الجزئي هو الذي تحقق لا الانعكاس الكلي ؟ فبحسب فهمي فإن علاقة الأثر بالمؤثر تبدأ من نظرة فكرية أولية ، فأنا حين أكتب بالقلم الذي أمامي فإن دليل

وجود القلم هو الحبر الموجود على الورقة فلا أستطيع أن أفصل بين وجود القلم وبين وجود الحبر أو أقول أن هناك حبر من دون وجود قلم، وأنا أرى أن فكرة العلاقة بين الأثر والمؤثر ترجع في تحليلها إلى علاقة عقلية فلسفية هي العلاقة بين العلة والمعلول أو السبب والنتيجة وهذا المبدأ الفلسفي بغض النظر عن الدليل على وجوده والبراهين القائمة على صحته فإن ما أراه أن العلاقة بين الأثر والمؤثر والتي ترجع إلى العلاقة بين العلة والمعلول تتعرض إلى سؤال مهم مفاده: هل أن ما يعكسه الأثر هو انعكاس كلي عن المؤثر ؟ فإن الأثر في المثال الذي درسته وهو الحبر يختلف عن القلم ، فهل دراستي للحبر الذي امامي الآن واكتب به على هذه الورقة يستطيع ان يُصور لي القلم ؟ حسب فهمي فإن الحبر لا يُصور لي القلم ولا أستطيع بمجرد النظر إلى الحبر وفحصه وتحليله أن ارسم صورة للقلم فقط من خلال الحبر على الورقة .

إن المثال من هذا النوع لا يخلو مما ذكرنا من استفهامات وملاحظات عن فلسفة المثال وما يعطيه المثال من البيان مع فقدان الدقة، إلا أن تأملي يجعلني أرى بأن التجرد عن المثال بالكامل سيرجعني إلى نقطة ما قبل المثال وهي التعامل مع الآثار المحسوسة للامحسوس ، على انها عرضة لسؤال مهم وهو هل أن دراسة تلك الآثار يعكس حقيقة اللامحسوس ؟

بحسب تفكيري وبحسب ما ذكرناه فإن تلك الآثار لا تدرس اللامحسوس بل تدرس المحسوس الذي يظهر بشكل آثار للامحسوس ، ولا اجد طريقاً فكرياً يسوغ للفكر البشري أن يدرس تلك الآثار الحسية ثم بطريقة غير مفهومة فكرياً يعتبر تلك الدراسة تكشف النقاب عن اللامحسوس ، ولا أرى تلك الدراسات العلمية إلا دراسات حسية مجردة غير منضبطة النتائج ولا يمكن الاعتماد عليها في رحلتنا هذه لاكتشاف اللامحسوس .

إذن إلى هذه النقطة ماذا نفعل للقبض على اللامحسوس ؟ قد أكون مضطراً للاستعانة بالمفاهيم الدينية كمحاولة لفهم اللامحسوس ، والترجمة الفكرية لهذه المفردة بحسب التعقل الديني متعذر إذ ليس من السهولة إيجاد مفردة دينية تساوق هذا التعقل الفكري فإننا وبحسب السير الفكري نحتاج إلى ترجمة دقيقة للألفاظ الفكرية والدينية على حد سواء لإيجاد مكافئ ومعادل تعقلي بينهما ، والطريق الأسلم في ذلك هو ذكر أدلة قطعية لمرادفات دينية لفكرة اللامحسوس ودراستها عن قرب وباسلوب لا يحيد عن الدقة العالية في دراسة الافكار ، ولا نمتلك آلية لذلك سوى ما يذكره لنا المختصون في اللغة ، ولأن الورقة البحثية مختصرة يراعى فيها الاختصار وعدم الإطالة وإلا فإن دراسة المفردات الدينية المرادفة للمفردات الفكرية مما يحتاج إلى بحث مستقل بمفرده لا مجال له هنا.

فاللامحسوس في التفكير الديني يمكن أن يرادف عالم المعنى ويمكن أن يرادف المخلوقات التي لا تقع تحت سيطرة الحواس ويمكن أن يكون إشارة إلى العوالم الداخلية في الإنسان أو إشارة إلى عالم الغيب أو غيرها من العوالم التي تخرج عن نطاق السيطرة الحسية ، فكيف سيتم تقريب ومعادلة اللامحسوس مع أي واحدة من هذه التعقلات الدينية ؟

لا يمكن إيجاد تقريب محدد فربما هي كلها داخلة او بعضها داخل في هذه المرادفة وكذلك لا يمكن معرفة تقريب محدد لهذه التعقلات فإن أي تقريب هو ترجمة لذلك وفق نظرة دينية والنظرة الدينية معتمدة على نظرية المعرفة الخاصة بذلك ، كما أنها ترجع إلى معرفة نظرية لا تجريبية ، وهي نقلية وليست فكرية بحتة ، فكيف يمكن الركون إلى تلك النتائج ؟ فالمكافئة الموضوعية بين اللامحسوس والمفهوم الديني كما نراها تتم من خلال إيجاد حالة تبرعية بين اللامحسوس وأي مفهوم ديني آخر ، أو السير بأسلوب جديد للتعامل مع المصادر الدينية في تفسير المفاهيم وهذا أمر خارج عن حديثنا .

إذن لا نستطيع أن نعتبر المكافئة الموضوعية بين المفاهيم بتأسيساتها الدينية وبين مفهوم اللامحسوس بالأسلوب المجرد بعيداً عن انطلاقه بالمعرفة الدينية.

لم يبق لنا طريق آخر لمعرفة اللامحسوس إلى الآن ولنحاول أن نستعمل أسلوباً آخراً وهو أن ندرس المحسوس تحت فلسفة أن الاشياء تُعرف بأضدادها فإننا نستطيع حينئذ أن نكتشف ما هو اللامحسوس ، وهذا الإسلوب من التفكير ناقص لعدم ثبوت أن الاشياء تُعرف بأضدادها كما ذكرت ذلك في ورقة بحث سابقة[٢] إضافة إلى أننا لو قبلنا بالمقابلة الضدية بينهما فإننا نقع بمشكلة المحسوس الذي يقابل اللامحسوس ، فالقلم الذي أكتب به حاليا لو عرفته ودققت به فما هو اللامحسوس الذي سيقابله ؟

لا يمكن أن يكون التقابل بهذا التقريب سليماً ودقيقاً ، أما إذا انطلقنا من اللامحسوس نفسه فسنواجه مشكلتين : كيف سنعرف اللامحسوس ـ أولاً ـ ؟ وإذا عرفناه فما الحاجة إلى معرفة المحسوس أصلاَ ـ ثانياً ـ ؟

قد أفكر بأسلوب آخر بالتعامل مع الحوادث التي تنتقل عن طريق أمور غير محسوسة كظاهرة التخاطر والاسترجاع العكسي

---

[٢] الورقة البحثية (١٢) العقبات الفكرية في البحث المقارن

وغيرها فكيف نتعامل معها ؟ وكذلك ما يذكر في بعض النتاجات المعنوية للتربية الدينية كالظواهر الروحية والظواهر المعنوية وغيرها والتي تكفي لوجود هذه الظواهر ولو من حيث التحقق الإجمالي لها .

وبحسب تفكيري فأنا أسأل ما دليل وجود هذه الظواهر اللاحسية ؟ لا أرى إلا طريقين لنفيها أو إثباتها : أما بأثبات هذه الظواهر عن طريق النقل او عن طريق المعرفة الخاصة بالفرد نفسه ، ولا اجد طريقاً آخراً لإثبات هذه الظواهر الروحية او المعنوية او اللاحسية بشكل عام ، أما النقل فهو يعتمد على الوثاقة وعندها فالظاهرة ستثبت بالوثاقة لا أكثر ، اما برفع تلك الوثاقة فلا يبقى أي وجود لتلك الظاهرة ،وإذا قلنا ان تلك الظاهرة تثبت بالمعرفة الخاصة أو قل انها تثبت تجريبياً كمعرفة احداث ما سيقع ليوم غد مثلاً أو معرفة ما وقع من أحداث في الماضي من دون الاطلاع عليها من مصدر آخر فهذه الظواهر وإن بدت أنها لا حسية إلا انه لا دليل عليها انها كذلك ، ولو افترضت حصول هذه الحوادث معي مثلاً واخبرني شخص بسر في حياتي لا يعلمه إلا أنا وفقط أنا ، فهذه العملية ستكون صادمة أولاً إضافة إلى أني حينها سترتفع نسبة تصديقي بما يقوله لي وأعتبر أن ما عنده أمر لم يخضع لحس وهو بالتالي لا حسي .

وهذا الأمر وإن وقع كنتيجة فقط وأسبابه لا تبدو واضحة إلا أنه لا ينفك عن جملة مشاكل أهمها: هل ان الطريق الذي عرف به ذلك السبب الخاص والذي اعتبرته لا حسي هو حسّي ؟ كأن التقطه و استنتجه من كلامي او حركاتي او لغة الجسد أو ...الخ من هذه الامور ، وإذا فرضنا انه لم يقع بهذه الطُرق الحسية وانه لا حسي بشكل صرف فهل سيتكرر وقوعه ؟ وهل سيتكرر وقوعه بشكل مستمر ام انه يقع بحالة واحدة ؟ وهل سيقع مع غيري وبنفس الدرجة التي وقع بها معي ؟ ثم أنها لو وقعت مع غيري فإنها لا تقع إلا بالوثاقة ؟ أي إنني لا استطيع إثباتها بنفسي إلا من خلال وثاقتي بنفس الفرد الناقل .

إلا اني لو تأملت اكثر بنفس الظاهرة اللاحسية والبارزة على اصحاب التربية الروحية ذات الادوات الخاصة سأجد نفسي أمام استفهامات لا يمكن تجاوزها وهي النقل الشديد والمُتواتر لحكايات وقصص لأصحاب التربية الروحية الخاصة ، فأشكالهم تبدو مختلفة عن اشكال البشر الاعتياديين ببعض السمات والملامح وسلوكهم من حيث رباطة الجأش والقوة المكنونة والصبر والثبات إضافة إلى تأثيرات متقدمة على أفراد نوعهم من حيث منطق الحديث والنظرة الثاقبة للأشياء وسرعة البديهة والفراسة وغيرها من الصفات التي لا يمكن تفسيرها بطريقة حسية سوى أنهم أصبحوا موضوعات لتأثيرات

لا حسية عُلْيا فائقة لم يستطع الفكر البشري مسكها والسيطرة عليها وما تمكن منه هو آثارها لا أكثر ، وبالتالي فإن التتابع القوي لهذه الصفات بعضها او كلها وتراكمها الذهني عند المراقب يؤدي إلى بناء تسلسلي منظم لوجود اللامحسوس المؤثر في الطبيعة البشرية والمؤدي إلى تغيير المعالم الباطنية والظاهرية في ذلك الإنسان.

لكن هل هذا المستوى من التفكير مقنع؟ هل يمكن أن يكون هذا الذي حصل عند ذلك الإنسان هو مجرد حالة متعلقة بتأثير الفكر على الطبيعة البشرية ؟ فكل إنسان يحمل افكاراً معينة فإن تلك الأفكار تنعكس على طبيعته سواء كانت تلك الأفكار سلبية او ايجابية .

قد يبدو كلامي هذا تطرفاً في تقبل اللامحسوس ،لكن ربما هذا ما نجده مسطوراً في الدراسات النفسية والتي ترجع بكثير من الانطباعات الخارجية للإنسان إلى تفكيره الداخلي ، فكل سلوك ينبع من قناعات بأفكار داخلية . وإذا سرنا بهذه الدرجة من التفكير سيكون من الوارد جداً أن ما يمتلكه الإنسان ذو التربية الروحية الخاصة حالة من التعبير عن الافكار الداخلية وفق قناعات محددة تنعكس تلك القناعات عليه تباعاً وتظهر حالة من انعكاس الافكار على سلوكه ـ تلك الافكار التي تلقّاها بطريقة نظرية بحتة ـ فمن

الممكن وفق هذا أن تكون التأثيرات السلوكية للتربية المعنوية الدينية ترجع إلى تحليلات نفسية علمية بحتة وما يظهر من آثار يدخل في مجال ما وراء علم النفس وهذه النتيجة المحتملة لا تعني صحتها بل هي صورة محتملة علمياً قابلة للتولد من أفكار أو قراءات أو ظروف أو أي شيء آخر . ذكر بهذا الصدد صناعتهم لجهاز الكتروني يشبه الخوذة أسموه (خوذة الرب) وفكرة هذا الاختراع ترمي لإثبات أن المشاعر المعنوية التي يشعر به الانسان اتجاه عالم الغيب ممكن التحكم بها من خلال التحكم بالموجات الدماغية عن طريق ارتداء تلك الخوذة ليتم تجسيد صور غير مرئية لا يمكن رؤيتها إلاّ لمرتديها وبالتالي إرجاع فكرة الامر الغيبي الى أمر فسلجي تحكمي لا اكثر .

أما الآثار المعنوية المنقولة عن الشخصيات ذات التأصيل العقائدي فهي داخلة ضمن المنقول والمنقول يعود الى التأصيل العقائدي نفسه وإلاّ فكيف يتم توثيقه لولا تأصيله .

إلى هنا فإني حاولت عرض الأمور ببساطة بعيدا عن شخصنة الحالة العلمية الفلسفية ، والآن لأفكر بأسلوب آخر أكثر علمية في محاولة للقبض على اللامحسوس ، لو كنت جالسا في مكان مع صديق وقبل أن اتحدث بحديث معين مع صديقي اتفاجأ أن صديقي نفسه قد أخبرني بما يجول في نفسي من افكار بشكل عفوي وأفترض ايضا أن

هذه الحالة قد تكررت ، فهل حصولها مع تكرارها يكفي لإثبات أمر غير حسي ؟

إن الأسس العلمية لحصول هكذا حالة تكون وحدها كافية لتضييق احتمال المخالفة وعدم الوقوع وتوسيع التحقق والاثبات العلمي من جهة اخرى فسأبدأ بالاقتناع وبطريقة تلقائية من أن ما وقع عند صديقي الجالس بقربي من توارد الخواطر ـ كما يسمونه اصطلاحا ـ هو اشارة وعلامة على ثبوت وتحقق حالة لا حسّية غير خاضعة الى قانون واضح حسّياً ، وقريباً منه ما نسمع به ونفترض صحة وقوعه ـ بعد تجاوز مشكلة النقل التي ذكرناها ـ من استشعار الأم بولدها المبتعد عنها مئات الكيلومترات ربما اذا فرح او اصابه مكروه ، ووقوع حالات كثيرة من هذا النوع ايضاً يخضع لمعيار التفائل الاحتمالي لأحد الاطراف المتخالفة وازدياده للطرف الآخر وهو زيادة احتمالية وقوعه في نفسي لو ازدادت الحوادث المنقولة الداخلة تحت النوع نفسه ، فعندها سأجد نفسي وكما ذكرت بطريقة تلقائية تذعن لمثل هذه الحوادث وتصدق بوقوعها ، وبغض النظر عن النظريات التي تفسر هذا الاذعان ـ فليس هنا محل تفسيرها فإن هذا الاذعان صاحب التحقق المقهور في نفسي وأعماقي يكون أوضح دليل على وجود شيء اسمه اللامحسوس في هذا العالم لا

أستطيع أن انكره ـ اولاً ـ ولا استطيع أن اتعامل معه بطريقة حسية أو أن اخضعه لقانون حسي في هذا المستوى ـ ثانياً ـ .

وهذه الخطوات إلى هنا لا تخلو من جمال علمي واستحكام فكري في القبض على هذا الشبح الهارب الذي اسمه اللامحسوس ، والبحث الى هذه النقطة يشعر بأننا صرنا قريبين من نهاية هذه الرحلة وبدأ شعور خفي بالفرح يسري في أعماقنا لأننا استطعنا أن نثبت اللامحسوس ، لكن لا ادري كم ستدوم هذه الفرحة لو علمنا أننا اعتمدنا في تثبيت اللامحسوس على اختلال توازن كفتي الاحتمال المخالف نتيجة التكرار في وقوع حوادث من نفس النوع على حواسنا وانعكاسها في النهاية على نفوسنا .

هل طريقة إثباتي للمحسوس بهذا الأسلوب العلمي صحيحة ؟ وهل يمكن قبول هذه النتيجة وهي أن اللامحسوس يثبت بتراكم احتمالي حسي ينتزع منه الفكر بطريقة غير معروفة شيئاً اسمه اللامحسوس ؟ هل يمكن أن يكون ذلك الشيء الذي ثبّته بطريقة علمية لا علاقة له باللامحسوس أصلا ؟

وللتوضيح اكثر فإنني أسال : هل يمكن أن يكون اللامحسوس ليس وجودا لشيء خارج الحس بل هو حالة يصنعها الفكر للتخلص من مجهول ضاغط عليه او قل انه جواب فكري لسؤال صعب

الاجابة بالأدوات التقليدية ، ولأن الفكر يفرض وجود إجابة في مكان ما ولأن تلك الاجابة لم يتمكن الفكر من تحصيلها فاختار طريقاً آخراً لملء منطقة الفراغ الناتجة من عدم تحصيل أجوبة بما في حوزته من أدوات معرفية ؟

إن ما ذكرته الآن لا يعدو كونه رؤية انا عرضتها واحتملتها لفكري لا اعرف بالضبط كيف أن فكري اوجد ذلك الشيء الذي اسمه اللامحسوس ، لكن ما اعرفه هو ان فكري يأخذ افكاره من مصادر ، والافكار بطبيعتها نتاج لما يرد اليها من تلك المصادر ، والذي حصل معنا فيما ذكرناه هو حصول افكار التقطناها من مصادرنا الحسية ، وهذه الافكار ـ بخصوص موضوعنا الذي نحاول عرضه ـ إما أن تكون افكارا حسية بمعنى انها تعطي انطباعا عن الحس او انها افكارا لا حسية بمعنى انها تتجاوز ساحة الحس ، لكن السؤال الذي يعرض في هذه النقطة البحثية إذا كانت مصادر الفكر حسيّة كيف استطاع أن يُفلت من حدود المنطقة الحسية ليتجاوزها الى منطقة لا حسية ؟ كيف استطاع الفكر أن يُوجِد من المعلومات المحسوسة شيئاً اسمه اللامحسوس ؟

إن اقصى ما يمتلكه الفكر من مصادره الحسية هي اموراً محسوسةً فكيف استطاع من خلال هذه المؤونة الحسية أن يُوجد شيئاً اسمه اللامحسوس ؟

لا أجد تفسيرا واضحا لحصول هكذا حالة ، كيف استطاع هذا الشيء الذي اسمه اللامحسوس أن يتسلل الى الفكر من خلال مادة حسية صرفة خالية من اللامحسوس ؟ بحسب ما ادركته حواسنا من أن اقصى حدود لدائرتها هو ما وقع في حيزها الحسي فقط .

لأفكر بهدوء اكثر عند حدود هذه النقطة البحثية وأفترض أن جواب الفكر لظواهر من هذا النوع من كونها لا حسية وجه آخر لجواب استعان بنفس الحس لوصف الظاهرة ، لكن الفكر استعان بالحس بصورته السلبية المنفية وهو ما يعكسه فهمنا وتعقلنا للفظة "لا حسية" .

هل يمكن أن تكون الظواهر اللاحسية هي مجرد تعبير عن فشل الفكر في ايجاد تفسير حسي لما يراه او يسمعه او يشمه ...الخ ؟

وكلامي هذا لا يعني أن مشكلة البحث تتمحور حول مفهوم اصطلاحي فقط وكأننا حين فسرنا أصل اللامحسوس وارجعناه بالتحليل إلى حالة من الفشل الفكري قد وضعنا النقاط على الحروف في فهمه وتعريفه، لا اعتقد ذلك ، فالمسألة أكبر من ذلك . إن القضية

التي نحن بصددها ليست تعقلية صرفة بل هي تثبيتية لأصل الوجود والتحقق اللاحسّي ، ما الذي حصل لصديقي حين تواردت خواطره لما اخفيه في داخلي ؟

لا أعرف كيف حصل هذا ولماذا عرف ما يجول في داخلي ؟ انا لا أعرف اي تفسير علمي لذلك ؟

ربما نسمع ونقرأ تفسيرات من نوع آخر ذات جذور دينية او عقائدية وهي خارجة عن كلامنا من الناحية البحثية العلمية وحدود تعاملي معها لا يتجاوز الخبر المنقول او أن تخضع لتجربة معرفية بحجمها، والخبر المنقول عن اللامحسوس يبقى خاضعا لمعايير الاخبار من حيث الوثاقة والصدق وما شاكل، اما التجربة المعرفية فهي في أحسن حالاتها لا تعدو كونها تجربة ذاتية فردية لا يمكن ان تثبت شيئاً إلاّ لمن مارسها .

لأُغير طريقة تفكيري باتجاه آخر ، لو كنت انا ذلك الشخص الذي مارس تجربة ذاتية مع اللامحسوس ، كيف سأتصرف اتجاه ما يحصل من امور لا حسية وغير خاضعة لقانون حسي ؟

فأنا أبدأ باستشعار ظاهرة ـ ولنفترض انها حالة توارد الخواطر او الاسترجاع العكسي ـ وبدأت هذه الظاهرة تزداد عندي شيئاً فشيئاً ، كيف سأتعامل مع هذه الظاهرة ؟ إن ما يحصل معي ـ على فرض

حصوله ـ هو تجربة معرفية ذاتية خاصة لا يمكن لي أن ارفض ما أراه أو استشعره أو اسمعه أو اتحسسه.

كيف سأتصرف لو ظهرت هذه الظواهر اللاحسية عندي ؟ سألاحظ نفسي أني بعد التفاتي لهذه الظواهر سأبدأ اصدق هذه الظاهرة تدريجيا وربما سأجد نفسي متميزا عن الآخرين بسبب تحصيلي واكتسابي للإحاطة بظاهرة لا حسية معينة ذات اثر وبُعد خارق للحالة الطبيعية المتعارفة ، والسؤال الذي سأعرضه هنا: هل حصول هذه الحالة عندي يكفي لتثبيتها حقيقة ؟ وإذا ثبتت عندي فما هي حدود إثباتها عند غيري ؟

إن تثبيت هذه الظاهرة عندي وبحسب تفكيري لا يعني حقيقيتها ، إذ لماذا أحكم بحقيقية تلك الظاهرة ؟ لماذا اعتبر أن اللامحسوس الذي حصل معي هو حقيقي وصحيح ؟ ألا يجدر بي أن أقول إن الذي حصل معي هو صحيح معي لكن هل هو صحيح لدائرة اوسع من دائرتي ؟ وبعبارة ادق إن معيار صحته ما هو ؟ إذا كان معيار صحته مشاعري وأحاسيسي فهل مشاعري وأحاسيسي تمثل صورة للحقيقة ؟ وهل هي تمثل صورة أن ما حصل هو صحيح ؟

لأوضح شيئاً من هذا الموضوع بما تسمح به حدود هذه الورقة ، ان الحقيقة التي ننشدها يجب أن تكون متعرضة لسؤال قبلي : ما هي

الحقيقة ابتداءً حتى نقيس مشاعرنا واستشعاراتنا على تلك الحقيقة وبالتالي نتأكد أن اللامحسوس الذي حصل عندنا بمشاعرنا وأحاسيسنا هو حقيقي بعد عرضه على الحقيقة التي يفترض بنا معرفتها مُسبقا ؟

ولو دققت النظر اكثر لوجدت أن علاقتي مع اللامحسوس الذي حصل عندي أخذ قوته من الصدق الذي يقع مع حوادث من هذا النوع ، فإذا عرفْتُ بنفسي توارد خواطر في حالات متكررة صارت الحقيقة هي تكرار تلك الحالات ، ولو كانت حالات الاسترجاع العكسي قد اثبتت صحتها بعد التأكد من تلك المعلومات اذن الحقيقة هي تحقق هذه اللاحسيات خارجاً ، لكن الملفت للنظر أن هذا التأكيد إنما تم عن طريق الحس نفسه فصار الحس هو معيار الحقيقة في كشف اللامحسوس والنتيجة التي توصلنا اليها اتجاه اللامحسوس انما عُيّرت وقُيّمت عن طريق الحس ، فهل يمكن أن يكون المحسوس مُقيّماً للامحسوس ؟

وقبل أن استعجل الجواب لأحاول النظر في امكانية تقييم المحسوس للامحسوس ، إن التقييم المذكور على فرض احتمال صحته يحتاج الى تصور دقيق له ، فلكي أقَيّم امراً غائبا عن الحس عن طريق الحس نفسه سأحتاج الى تبني احد اسلوبين : إما أن ارجع

المعيار الحسي الى معيار لا حسي او العكس وهي أن ارجع المعيار اللاحسي الى معيار حسي ، أو أن أغض النظر عن ارجاع احدهما الى الاخر وهذا يتطلب تقبلنا لصدمة البحث عن اللامحسوس إذ أن غض النظر عن الإرجاع يتطلب تعاملنا فكرياً مع المحسوس فقط الذي تتعامل معه حواسنا بشكل روتيني وهو لا يمكن ارجاعه الى اللامحسوس فينتفي كل شيء فكري بهذا الصدد .

ولا امتلك حاليا اسلوباً في تحليل متقن لإرجاعي المحسوس الى اللامحسوس ، لأن اي محاولة ارجاع للمحسوس الى اللامحسوس تتطلب تغيير هوية المحسوس او تغيير هوية اللامحسوس، فتوارد الخواطر الذي حصل عندي بطريقة لا حسية كيف استطيع أن أصوغه بطريقة حسية ؟

ان الحس الموجود في هذا الشيء الذي نسميه توارد الخواطر اين يمكن لي أن أجده ؟ هل الحس فيه موجود في تلك اللحظة التي ترد الخاطرة الى اعماقي ؟ هل تلك اللحظة هي لحظة حسية ام انها ليست كذلك ؟ هل لحظة اخباري للخاطرة الواردة نطقاً وسمعاً هي لحظة حسية ؟

إن تقريب العلم بالخاطرة المنبثقة من اعماقي الى الحس يحتاج أن اعرف ما الذي حصل في داخلي ابتداءً من العلم المتحقق عندي

بمعرفة شيء ما في داخلي بشكل فجائي ؟ وهل يمكن اعتبار ذلك العلم حساً ؟

هذا ما لا استطيع اثباته بشكل واضح لأن العلم يختلف في حقيقته عن الحس ولأن ذلك العلم غير معروف عندي وهل هذا العلم الذي تحقق هو من نوع العلم الذي نعرفه والذي يعرفه اهل المعقول بانه انطباع صورة الشيء في الذهن فهل هو انطباع لذلك المعلوم في الذهن؟ أم أن المعلوم له مكان آخر غير الذهن تحقق فيه ؟ لو اعتبرناه انه شيء آخر غير المعلوم الذهني فماذا سيكون ؟ وكيف نستطيع اكتشافه بغير الذهن ؟ فهو ليس من عالم الذهن حسب الفرض ، وبالتالي صار عالم الذهن عاجزاً عن ايجاد ذلك الشيء العلمي الذي لا يحمل صفات المعلوم الذهني .

اما اذا كان المعلوم ذهنياً فلا مشكلة في تعقله ذهنياً لكن المشكلة ستكون أن ذلك المعلوم الذهني يكون معرضاً لسؤال : هل انتقل الى الذهن عن طريق الحواس أم انتقل بأداة اخرى غير الاداة الحسية ؟

إن ما يخبرنا به أهل المنطق والمعقول هو تقييد المعلوم الذهني بالأداة الحسية ـ هذا بحسب قولهم ـ وأنا ارى أن نلتزم بأن هناك معلومات تأتي عن طريق الحواس لكن أين هو موضع استقرارها ؟ فهذه مهمة علوم اخرى كعلم الطب والفلسفة البشرية والتصوير

الاشعاعي المقطعي للدماغ البشري الذي يُظهر تحفز مناطق معينة منه بالتصوير الاشعاعي متغيرة حسب الصور المستلمة من الخارج عن طريق الحواس .

وبغض النظر عن كل هذا فإن ما يحصل هو أن هناك معلوم يتحقق عندنا عن طريق الحواس ، واذا كان هذا المعلوم متحقق عن طريق الحواس فما معنى اذن أن يكون لا حسياً ؟ واذا ارجعنا المحسوس الى اللامحسوس فكيف سيكون شكل هذا الإرجاع ؟ لا اتصور أنه بهذه السهولة . وأول شيء سأبدأ التفكير به هو هل أن هذه الحواس التي أملكها هي في حقيقتها التحليلية لا حسية ؟ فكيف ستكون لا حسية ؟ هل مسكي لهذا القلم واستشعاري حسياً بوجوده بيدي هو امر لا حسي ؟ كيف لي ان اتعقل هذا المستوى من التفكير ان يكون المحسوس في تحليله لا حسي ؟ لا املك على الاقل تصوراً اولياً عن ذلك ، واذا كان الامر سيرجع بالتحليل الى هذه الامور بحسب الفرض المذكور فأعتقد أن الموضوع ايضا بحاجة الى دراسة تخصصية للحواس ، وما يمكن أن يقال على كلا الصورتين المفترضتين للتحليل التبادلي بين المحسوس واللامحسوس فإن التضاد بينهما يكفي ألاّ يكون احدهما راجعا في صورته المعلومة الى الآخر ، فأنا حين اثبت اللامحسوس فبالحقيقة نفيت اي متعلق حسي بالكامل والا فما معنى أن يكون لا حسياً إلاّ اذا كان ذلك الشيء الذي

اعتبرناه "لا حسي" هو مجرد خطأ قد وقعنا به ، او ان ذلك الشيء الذي اسميناه حسياً هو خطأ آخر قد وقعنا به ايضاً .

إن الاشياء التي نسميها "لا محسوس" حتى لو فرضنا وجودها عندنا في نفوسنا فهي مجرد فرض قد عرضنا في هذه الورقة البحثية المختصرة عجز الادوات الفكرية الإثباتية عن اثبات ذلك الشيء الذي نسميه اللامحسوس ولم يبق ـ بحسب تفكيري ـ اي وسيلة لإثباته كمساحة معرفية عامة للإثبات .

هذه هي حدود تفكيري وأتمنى من المفكرين والباحثين أن يوسعوا حدود تفكيري الذي ضاقت سبله في إثبات ذلك الشيء الذي أسموه اللامحسوس بأية لغة وبأي معنى موصوف .

إن الفكر قد يكون شامخاً متعالياً ، وإنّ حسمه لنتائج مطلقة معتمداً على قدراته الفائقة قد يجعله عرضة لصدمةٍ غير متوقعة في حال أنه أعطى لنفسه موقع العالِم بكل شيء والحاكم على كل شيء ، وهو موقع لا نتمنى حصوله لكل أحد حتى للفكر نفسه .

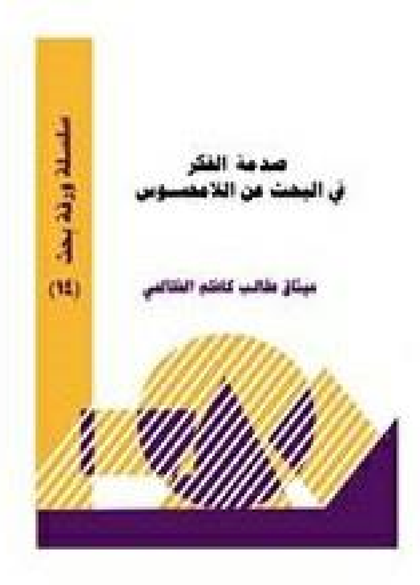
ميثاق طالب كاظم الظالمي

٥ ربيع الثاني / ١٤٣٧هـ

٤ / ١ / ٢٠١٧م

صدر للمؤلف

١. اسم الزمان العلمي في المشتق الاصولي .
٢. قواعد في المستقبل المعنوي .
٣. قواعد في المستقبل الفكري .
٤. بين التوهم والتعقل – فلاسفة الأديان في الميزان .
٥. رحيق الحكمة .
٦. سلسلة ورقة بحث (١) : فكرة تهذيب المنهج (العلمي - القرآني) / البحث (الفيزيائي ـ القرآني) نموذجاً .
٧. سلسلة ورقة بحث (٢) : ضرورة الموقع العلمي للظن في معادلة المعرفة .
٨. سلسلة ورقة بحث (٣) : دحض المعايير الطبيعية في نظرتها للفلسفة الأخلاقية .
٩. سلسلة ورقة بحث (٤) : هل يمكن أن تكون بعض فروع الدين اصوله .
١٠. سلسلة ورقة بحث (٥) : ديناميكية العقلين .
١١. سلسلة ورقة بحث (٦) : المعنى الحقيقي للماهية وبطلان دعوى أصالتها مع الوجود .
١٢. سلسلة ورقة بحث (٧) : التجربة المعرفية المتعالية .
١٣. سلسلة ورقة بحث (٨) : أساسيات علم منطق اللامنطق .
١٤. سلسلة ورقة بحث (٩) : لو كان الله مجرد فكرة .
١٥. سلسلة ورقة بحث (١٠) : المثال الممنوع .
١٦. سلسلة ورقة بحث (١١) : البرهان على عدم ثبوت اسلوبنا في تفسير القرآن بالقرآن .
١٧. سلسلة ورقة بحث (١٢) : العقبات الفكرية في البحث المقارن .
١٨. سلسلة ورقة بحث (١٣) : صدمة الفكر في البحث عن اللامحسوس .



هـل يمكـن أن يكـون اللامحسـوس ليس وجودا لشيء خارج الحس بل هو حالـة يصنعها الفكر للتخلـص من مجهـول ضاغـط عليـه او قل أنـه جواب فكري لسؤال صعب الإجابـة بالأدوات التقليديـة ، ولأن الفكـر يفـرض وجـود إجابة في مـكان مـا ولأن تلـك الاجابـة لم يتمكن الفكر من تحصيلها فاختار طريقا آخراً لملء منطقـة الفـراغ الناتجة مـن عـدم تحصيـل أجوبـة بما في حوزتـه مـن أدوات معرفيـة ؟

للاستفسار

quran.wisdom2016@gmail.com

07800378214 - 07822723131